

الكتابة الفنية الساخرة وأبعادها في نثر البشير الإبراهيمي - عيون البصائر نموذجاً -

د/ نعمان بوطهرة

كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1

الملخص:

حاولت من خلال هذه الدراسة أن أقف على ظاهرة فنية انتشرت في مقالات الشيخ البشير الإبراهيمي انتشاراً لافتاً للانتباه، وهي الكتابة الساخرة، لإبراز خصائصها الفنية الراقية، والوقوف على أبعادها ومضامينها الفكرية. وقد ركزت على دراسة ثلاثة أبعاد: تمثل الأول في البعد الديني الذي تضمن مسألة الأشخاص المنحرفين، ومسألة أدواء المسلمين بالإضافة إلى القضية الفلسطينية. وتمثل الثاني في البعد السياسي، وقد تضمن مسألة فضح السياسة الاستعمارية، ومسألة أذئاب الاستعمار. وتمثل الثالث في البعد الاجتماعي الذي تضمن مسألة الطرق الصوفية الموالية للاستعمار، وقضية المرأة.

الكلمات المفتاحية: الكتابة الفنية، الكتابة الساخرة، نثر، البشير الإبراهيمي، عيون البصائر.

Résumé :

J'ai essayé dans cette étude de montrer les dimensions et l'implication de l'art du sarcasme dans les articles de Sheikh el Bachir El Ibrahimi. Et je suis concentré sur trois dimensions :

- La dimension religieuse: inclus sur la question de personnes délinquantes, et la question des maladies des musulmans, et la question de la Palestine.
- La dimension politique: inclus sur la question d'exposer la politique coloniale, et la question des adeptes de la colonisation.
- La dimension sociale: inclus sur la question des doctrines pro-colonisation, et la question de la femme.

مقدمة:

مما لا شك فيه أن السخرية في الأدب ظاهرة فنية عالمية، لما لها من تأثير قوي في نفسية المتلقي، ولما لها من طرافة وامتعة فنية تثير التقدير والإعجاب، وقد شاعت هذه الظاهرة وانتشرت في أدب العلامة محمد البشير الإبراهيمي انتشارا لافتا للانتباه، وقد وظفها الشيخ للتعبير عما يختلج من أفكار، وما يعتلج من مشاعر في كثير من المواضيع والمحطات، الأمر الذي جعلها سخرية مميزة، كونها وردت مفعمة بأفكار ومضامين ومشاعر جمّة. وعلى الرغم من هذا فإنها - في حدود علم الباحث - لم تنل حقتها من التمعن والدراسة. من هنا أثرت أن ألج العالم الأدبي للشيخ من خلال هذه الظاهرة الفنية، وعنوانت هذه الدراسة ب: الكتابة الفنية الساخرة وأبعادها في نثر العلامة محمد البشير الإبراهيمي - عيون البصائر أنموذجاً -.

وقد تهيكلت هذه الدراسة في مدخل وثلاثة مباحث هي:

المدخل: تضمن التعريف اللغوي والاصطلاحي للسخرية مع تحديد طبيعة

العلاقة بينها وبين التهكم.

المبحث الأول: تضمن البعد الديني، وقد أدرجت ضمن هذا المبحث ثلاث

مسائل هي: مسألة الأشخاص المنحرفين، ومسألة أدواء المسلمين، ثم القضية الفلسطينية، هذه الأخيرة التي تناولها الشيخ من زاوية دينية بحتة تمثلت في الصراع القائم بين الإسلام والصليبية، الأمر الذي جعلني أدرجها ضمن البعد الديني رغم أنها قضية سياسية.

المبحث الثاني: تضمن البعد السياسي، وقد عالجت فيه مسألتين: تمثلت

أولاهما في محاولة فضح السياسة الاستعمارية، وأما الثانية فتمثلت في مسألة أذنان الاستعمار الذين خدموه بكل إخلاص وتفان.

المبحث الثالث: خصصته للبعد الاجتماعي، وقد ضمنته مسألة الطرق

الصوفية الموالية للاستعمار، وهي مسألة تبدو في ظاهرها دينية لكن تأثيرها الكبير على المجتمع الجزائري جعلني أدرجها ضمن البعد الاجتماعي، بالإضافة إلى قضية المرأة.

وفي الأخير ختمت هذه الدراسة بخاتمة حوصلت فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

مدخل: السخرية تعريفاً:

1- السخرية لغةً:

جاء في اللغة: "سَخِرَ منه وبه كفرح سَخْرًا وسَخْرًا وسُخِرَ وسُخِرَ وسُخِرَ منه وسُخِرًا: هزئ كاستسخر والاسم السخرية والسُخري"¹. وقال الأخفش: سخرت منه

وسخرت به، وضحكت منه وضحكت به، وهزئت منه وهزئت به، كل يقال، والاسم السخرية والسُخريُّ والسُخرة الضحكة، ورجل سُخرة: يسخر بالناس². ومنه فإن كلمة السخرية في مدلولها المعجمي يراد بها الهزاء والاستخفاف والضحك من الشيء. وقد وردت في القرآن الكريم بهذه المعاني، فقد جاء في قوله تعالى مخاطبا سيدنا محمد ﷺ مبينا له معاناة الرسل السابقين له الذين تعرضوا للهزاء والاستخفاف: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] (الأنبياء: 41). وقد جاء عن سخرية المنافقين بالمؤمنين في قوله جل وعلا: [الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] (التوبة: 79). كما يطالعنا في سورة المؤمنون ما ينتظر المستخفين والمستهزئين بالمؤمنين يوم القيامة في هذه الآيات: [قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ (108) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاقِرُونَ] (المؤمنون: 108-111). وبهذا فإن لفظ السخرية مرادف لكل معاني الاستهزاء والاستخفاف والانتقاص من المسخور منه، حيث يركز الساخر على إبراز عيوب الآخر سواء أكانت شكلية جسدية أم معنوية نفسية.

2- السخرية اصطلاحا:

تشيع السخرية باعتبارها ظاهرة فنية في كل الفنون الأدبية سواء أكانت شعرية أم نثرية، و تدل على "نسبة عيب إلى شخص، أو تقخيم عيب فيه بغرض التهذيب والإصلاح، ليبرأ منه أو من بعضه، أو ليخافه إن لم يكن فيه؛ فهي فضلا عن كونها أداة للتسلية وسيلة لخدمة الفرد والمجتمع، لما فيها من تهذيب وتقويم وإصلاح وتطهير"³. ومنه فإن السخرية - كظاهرة فنية- ليست وسيلة للتسلية والترويح عن النفس فحسب، وإنما هي فن أدبي يعمد من خلاله الأديب الساخر إلى التهكم والاستهزاء من بعض قضايا الحياة، ومظاهر السلوك الفردي أو الجماعي، قصد تحقيره والحث من شأنه ليتجنبه الناس، والهدف منها هو التهذيب والتقويم؛ فهي فن يمتزج بأعظم الميادين الجادة في الحياة على غرار الدين والأخلاق والسياسة، ليرسم لنفسه هدفاً أسمى يتمثل في "تربية النفس البشرية عن طريق تبصيرها بعيوبها، فتأخذ مظهرها احتجاجيا على التدهور الذي تشهده البيئة في شتى مجالاته بغية تعديلها"⁴. فالأديب الساخر لا يختلف كثيرا عن المصلح الاجتماعي في الهدف وإن كانا يختلفان

في الوسيلة، فالكلمة الساخرة سرعان ما تنجر إليها العواطف وتستولي على العقول وتسحر الألباب.

ويحدثنا الأستاذ عباس محمود العقاد عن كتاب هذا الفن بأنهم "يعتمدون على ملكات كثيرة قد يناقض بعضها بعضاً، وقد لا يجتمع فيها ملكتان لكاتب واحد؛ فمنهم من يعتمد على ملكة السخر، وهو يحتاج إلى الذكاء وإدراك الفروق، وقد يصحبه شيء من الجد والمرارة. ومنهم من يعتمد على الدعابة، وهي تحتاج إلى مرح في الطبيعة، مرجعه في الغالب إلى المزاج لا إلى الدرس والتعليم. ومنهم من يعتمد على الهزل، وهو خلق ينشأ عن الجهل بتقدير عظام الأشياء... وخير هذه الملكات ملكة السخر يمازجها العطف، وهي عبقرية لا تقل في اقتدارها على تجميل الحياة وتثقيف النفوس والأذواق عن عبقرية الفلسفة وعبقرية الشعر والتلحين"⁵.

ومن هنا كان لفن السخرية في الأدب لوانان: "لون كئيب كارب ناتج عن إحساس عميق بالكارثة... ولون بهيج ضاحك مضحك يكتفي بالمداعبة، وتحليل ظواهر الأشياء والأشخاص وما أصابهم من خلل وانحراف"⁶. ومهما تعددت وتباينت ألوان السخرية فإنها تسعى إلى "تعويد الناس وتدريبهم على ملكة النقد الذاتي، وتنبيههم إلى أخطائهم"⁷. وبهذا يكون فن السخرية من الفنون الأدبية الهادفة إلى الإصلاح والتقويم على مستوى الفرد والمجتمع، فلا غرابة أن يوظفها العلامة الإبراهيمي في أدبه مادام يتوخى هذه الغايات والمرامي من خلال مقالاته.

3- بين السخرية والتهكم:

يحدث نوع من التداخل بين السخرية والتهكم في الكثير من الأحيان، فالمعظم من الناس يستخدمهما للمعنى نفسه، وهذا مرده للصلة الوثيقة بين المصطلحين، فكل منهما يستخدم للدلالة على الهزء من الشيء والانتقاص منه، لكن المتمعن في المصطلحين يمكنه أن يدرك الفرق الدقيق بينهما، فالتهكم "هو ما كان ظاهره هزلاً وباطنه جدلاً... فهو يدل على الاستهزاء المبطن بالجدية في غالب الأحيان"⁸. بينما السخرية - كما بينا سابقاً - هي الهزء والانتقاص من الشيء سواء أكان ظاهرياً أم باطنياً، وبالتالي فإن السخرية أعم وأشمل من التهكم، وإذا كان مصطلح التهكم لم يرد في القرآن الكريم لفظاً، فإن شيوعه فيه كمعنى كان لافتاً للانتباه، ومن أمثله قوله - جل في علاه - للمعذب في النار يوم القيامة: [ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ] (الدخان: 49). في هذه الآية سخرية ولكنها مبطنة بمعاني الشدة والجد والحسم على من كان يتعزز ويتكرم على قومه في الحياة الدنيا. ومن الأمثلة التهكمية في القرآن الكريم

كذلك قوله تعالى: [فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ] (الصفات: 23)، فلفظ الهداية يدل على الإرشاد إلى الطريق القويم والصحيح، بينما يدل في سياق هذه الآية الكريمة على الجحيم، وهو أشنع مصير بالنسبة للإنسان.

والسخرية لدى العلامة الإبراهيمي فن تعبيرية راق وظفه لإصلاح الفرد والمجتمع الجزائري، الأمر الذي جعله يحمل بين طياته الكثير من الأبعاد والمرامي التي يمكن تلخيصها في: قضايا الدين ثم شؤون السياسة، بالإضافة إلى أحوال المجتمع. وسوف نحاول فيما يلي الوقوف على هذه الأبعاد من خلال استقراء بعض النماذج الساخرة الواردة في مقالات عيون البصائر.

المبحث الأول: البعد الديني

لا يختلف اثنان في أن الشيخ البشير الإبراهيمي كان "دائرة معارف إسلامية...، ولما كانت المعارف الإسلامية تفرعت عن الفكر الديني الإسلامي الصحيح، فطبيعي إذن أن يقوم فكر الإبراهيمي على هذا الأساس نفسه"⁹. فأهم طابع ميز اللغة والأعمال الأدبية للإبراهيمي هو الطابع الديني الإسلامي، وقد عالج في أدبه الساخر الكثير من المسائل التي يمكن إدراجها ضمن الاتجاه الديني الإسلامي، ولعل مرد هذا إلى ما عانتها الأمة الجزائرية من مشاكل ومعضلات جراء الانحراف والفهم الخاطئ للدين، فقد أصبح المجتمع آنذاك حسب أحد الدارسين "بين طرفي خرافي مستغل، وشاب متفرنج منحل، وموظف ديني خائن"¹⁰. هذه الأوضاع المزرية أضرمت النار في صدر شيخنا الإبراهيمي، الذي خاض معارك حامية الوطيس لأجل نجدة المسلمين والدين الإسلامي الحنيف من الأيدي العابثة به؛ فقد أسهم بأسلوبه التهكمي الساخر إسهاما عظيما - لا سبيل إلى تجاهله وإنكاره - في معالجة الانحراف الديني بشتى صورته وأشكاله، هذا بالإضافة إلى بعض القضايا التي شغلت بال المسلمين والتي سنختصرها في العناصر التالية:

1- الأشخاص المنحرفون:

في إطار هذه المسألة يتساءل الإبراهيمي عن عملية إسناد المهمات إلى غير أهلها في المجال الديني فيقول: "... فهل جد في الاكتشافات الطبية أن يكون السرطان دواء للسل؟ وهل جد في القوانين الاجتماعية أن يكون حاميتها حراميتها كما يقول المثل الشرقي؟"¹¹. إنه أسلوب استفهامي تهكمي ساخر من الرجال الموظفين في مناصب دينية؛ كيف لا وهم أمراض أخطر من أمراض المجتمع، فكيف يتسنى لهم معالجتها؟ فلا يمكن لداء السرطان أن يعالج السل وهو أخطر وأعضل منه، كما لا يعقل أن

يكون حامياً الأمة حرامياً والمتلصص عليها في الآن نفسه، فهذه المناصب التي يتولاها المسخور منهم باسم الدين ما هي إلا مناصب حكومية يديرها الاستعمار بطريقة غير مباشرة حسب ما تقتضيه مصالحه وأعماله.

وقد سخر الإبراهيمي في هذا السياق من شخصية عبد الحي الكتاني¹² فاستطاع أن يقدمه إلى جمهور القراء بسخرية مريرة وتهكم لاذع في قوله: "إذا أنصفنا الرجل قلنا إنه مجموعة من العناصر، منها العلم ومنها الظلم، ومنها الحق ومنها الباطل، وأكثر الشر والفساد في الأرض أطلق عليها لكثرتها واجتماعها في ظرف واحد، هذا الاسم المركب الذي لا يلتقي مع الكثير منها في اشتقاق، ولا دلالة وضعية، كما تطلق أسماء الأجناس المرتجلة، وكما يطلق علماء الكيمياء أسماء لا يلمحون فيها أصلاً من أصولها... وإن اسم صاحبنا لم يصدّق فيه إلا جزؤه الأول، فهو عبد لعدة أشياء جاءت بها الآثار وجرت على ألسنة الناس، ولكن أمسكها به الاستعمار، أما جزؤه الثاني، فليس من أسماء الله الحسنى وإنما هو بمعنى القبيلة، كما يقال: كاهن الحي، وعراف الحي، ومير الحي"¹³. يحاول الإبراهيمي في هذا النص أن يوضح للقارئ حقيقة هذا الرجل بأسلوب تهكمي، موظفاً طاقات اللغة البلاغية، فيستخدم المطابقة بين الحق والباطل، ثم يحل اسم المسخور منه، فينسب الجزء الأول منه (عبد) إلى الاستعمار، وأما الجزء الثاني (الحي) فينسبه إلى القبيلة أو الشارع، ليعتد به عن معنى العبودية الحقيقية لله تعالى. يقول أحد الدارسين حول هذا النوع من السخرية: "غالباً ما يُوجه النقد إلى شخص ما، أو متخيل، أو إلى جماعة يمثلون خلقاً اجتماعياً، أو ظاهرة من الظواهر المعروفة، فإذا سخروا من بعض اللحي الطويلة أو أصحابها، فإنما يوجهون النقد إلى التخفي وراء المظاهر الخادعة، والتستر بالشكليات، بينما الواقع انحراف ونفاق"¹⁴.

ولعل هذا ما جعل الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض يقول في سخرية الإبراهيمي: "كان الإبراهيمي حين يناقش خصمه يرميه بألفاظ حداد كأنها شفرات ماضية، أو شظايا محرقة، أتمثل أسلوبه عند الخصام وكأن حروف ألفاظه وجملته جمر، وعباراته الجارحة سياط من العذاب"¹⁵.

ويواصل الإبراهيمي سخريته من عبد الحي الكتاني مبيناً سبب التعريض به قائلاً: "إن هذا الرجل ما زال منذ كان الاستعمار في المغرب آلة صماء في يده يديره كما يشاء، ويديره على ما يشاء، يحركه للفتنة فيتحرك، ويدعوه إلى تفريق الصفوف فيستجيب، ويندبه إلى التضريب والتخريب فيجده أطوع من بنانه، ويريد به أن يكون حمى تنهك، فيكون لساناً وأذناً وعينا ورجلاً...وما يكاد الاستعمار إخماد حركة إلا و

كانت على يده البركة¹⁶. إنها حقا سخرية لازعة من هذا الرجل الذي لا يكاد يحرك ساكنا إلا بأمر من الاستعمار، فكيف يمكن له أن يؤدي وظيفته الدينية ويرضي ربه، وهو لا يهمله سوى إرضاء أسياده الذين وظفوه وأغدقوا عليه؟، وجاءت كلمة البركة لتضفي على النص دلالات الخدمات الجليلة التي يقدمها هذا الموظف لصالح الاستعمار ولو على حساب الدين ومصحة الأمة.

2- أدواء المسلمين:

في هذا المجال تطرق الإبراهيمي بأسلوبه الساخر إلى ما أصاب الأمة من تخلف وجمود فكري، فقد كثر العلماء الذين يحفظون ويقرؤون، ولكنهم لا يفهمون، وقد أسهم هذا الداء العضال الذي أصاب الأمة في إنتاج جيل من العلماء لا فائدة ترجى منه، يقول: "هذا العدد المتشابه الذي كأنه نسخ من طبعة واحدة من كتاب، لا يقع التحريف في واحدة منها إلا وقع في جميعها، ولا يزيد واحد منهم في العدد إلا كما يزيد كتاب في مكتبة، لا كما يزيد فارس في كتيبة"¹⁷. فهو يسخر من هذه الفئة معتبرا إياهم أشباه علماء، حيث يستخدم الصورة التشبيهية، فيشبههم بمجموعة من النسخ الكثيرة لكتاب واحد، فلا يقدمون شيئا جديدا للعلم، ولا إبداعا للفكر. ويستمر في الازدراء بهم موظفا أسلوب المطابقة فيقول: "ما كثروا في الأمة إلا قلت بهم الأمة، ولا ثقلوا في أنفسهم إلا خف وزنها في الأمم، ولا تغالوا في التعاضم إلا كان ذلك نقصا من معاني العظمة فيها"¹⁸. ففي الوقت الذي ينهض فيه العلماء والمفكرون بأمتهم ويأخذون بناصيتها نحو التطور والرقي، تكون هذه الفئة سببا رئيسا وعاملا مهما في تخلف الأمة العربية، والذهاب بمكانتها السامية بين الأمم.

ويواصل سخريته من هذه الفئة معللا ضعة نفوسهم ومشبها إياهم في انقيادهم وراء غيرهم بأدوات الصدارة التي تدخل عليها حروف الجر فيقول: "وبآية أن عملهم لم يؤهلهم لقيادة الأمة، فتركوا القيادة لغيرهم، فأصبحوا كأدوات التصدير التي يسبقها حرف الجر، فيدخل عليها ويعمل فيها"¹⁹. وظف ثقافته اللغوية الواسعة ليبيّن المكانة الحقيقية لهؤلاء الأشخاص، فهم في نظره عبيد لغيرهم، يتحكمون فيهم كما يشاؤون، لأن العلم الصحيح هو الذي يرقى بالإنسان في دنياه، ويجعل منه قائدا لقومه لا تابعا لجهلائهم؛ فهو يوظف قدرته البليغة في اللغة العربية ويشبههم بأدوات الصدارة التي تسبق بحروف الجر وتكون معمولة لا عاملة.

3- القضية الفلسطينية:

نظر الإبراهيمي إلى القضية الفلسطينية - على غرار المفكرين الجزائريين- نظرة دينية إسلامية، فقد تناولها في مقالاته الساخرة من منظور كونها معركة صراع بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي والصهيووني. هذا من جهة ومن جهة أخرى، فقد كان مدفوعاً إليها بنزعة إيمانية وغيره على العروبة والإسلام. وخير ما نسجله له في هذا السياق إفصاحه عن حقيقة الصهيونية التي ليست سوى استغلال واستعباد وقضاء مصالح؛ فقد كتب عن مسألة تقسيم فلسطين بأسلوب تهكمي مرير، فيقول: "... وتكشف ذلك اللبس الذي دام عشرات السنين عن الحقيقة البيضاء، وهي أن حق الشرق لا ولي له في الغرب ولا نصير، وجاء بها المجلس الذي يسمونه زورا مجلس الأمم المتحدة شنعاء لا توارى من أحكام القاسطين، وأحلام الطامعين"²⁰. من خلال هذا النص نكاد نلمس هول الصدمة في أغوار نفسية الإبراهيمي في هذه الكلمات التي قذفها من غور جروحه وحسرتة، وتزداد حرارة لهجته عندما يتابع وصف قرار التقسيم، فيبين أن المناقشة دارت حول من هو الأحق بأرض فلسطين؟ هل هم العرب أم اليهود؟ فظهرت الحقيقة بدليلها القاطع" وأنصت التاريخ ليسجل الشهادة، واستشرف الكون لينظر هل تحرق للأقوياء عادة، ونشر الأصل والدعوى، وتعارضت البيئة والشبهة، وأجرتها الحقيقة بوضوحها، فحكمو الانتخاب"²¹.

فالسخرية تبدو مريرة في هذا التساؤل، فرغم اتضاح الحق جليا بشهادة التاريخ والكون، وانكشاف الباطل، فإن الأمم اتحدت على الباطل، وقررت الانتخابات التي لا طائل من ورائها، ويستمر في التساؤل عن هذه الانتخابات المعروفة نتائجها قبل إجرائها مستخدما التشبيه قائلا: "أي موضع للانتخاب هنا؟ كتحكيم القرعة بين أصحاب الحظوظ المتفاوتة، كصاحب العشر مع صاحب النصف، كلاهما باطل ولا يسيغه عقل ولا شرع، وأي فرق بين ما نعييه من تحكيم الجاهلية الأزلام السماء وحصى التصافن، وبين تحكيم أصوات من أموات وويلات سموهم ممثلي دويلات؟"²². فالسخرية لاذعة من هذه الدويلات التي وحد بينها الباطل، فيوبخها توبيخا لاذعا، لأنها لجأت للانتخابات للمراوغة والتحايل، بعدما هزمت أمام الحق المستبين، وراح يفصح عن مشاعر الاحتقار تجاههم ناسبا فعلتهم إلى الجاهلية التي تحتكم إلى الأزلام السماء، والحصى الجامدة، ولا يمكن لهذا أن يدل إلا على جهل وتخلف فكري.

هذا وقد تهكم الإبراهيمي من موقف العرب والمسلمين الذي لم يتجاوز حدود الخطب والكلام فيقول: "أيها العرب، قسمت فلسطين فقامت قيامتكم، هدرت شقائق

الخطباء، وسالت أقلام الكتاب، وأرسلها الشعراء صيحات مثيرة تحرك رواكد النفوس، وانعقدت المؤتمرات، وأقيمت المظاهرات...²³ فالخطباء يهدرون، والكتاب يسيلون الأقلام، والشعراء يصيحون، والمظاهرات تقام هنا وهناك، والمؤتمرات تنعقد، لكن ما نتيجة ذلك كله؟ وما جدواه بالنسبة للقضية الفلسطينية "كنتم ترجون من الدول المتحدة على الباطل غير ذلك، وهل كنتم تعتقدون أنه مجلس أمم كما يزعم؟ كأن تلك الأمم وحد بينها الانتصار على الألمان النازي، واليابان الغازي، فجعلت من شكر الله على تلك النعمة أن تنظم أمم العالم في عقد من السلام والحرية، تستوي فيه الكبيرة والصغيرة، ودوله في مجلس تستوي فيه القوية والضعيفة ليقيم العدل وينصف المظلوم"²⁴.

فقد بلغ الأسى والمرارة بالإمام الإبراهيمي إلى إرسال كلمات كأنها الشهب المحرقة إلى الغرب الذي يدعي العدل وإنصاف المظلومين، من خلال ما يسمى بمجلس الأمم المتحدة لكي يعمل على نشر السلم والحرية في أقطار المعمورة، وكل هذا شكرا لله على نعمة الانتصار على النازية، فكانت النتيجة أقبح من النازية، وكان تقسيم فلسطين.

كما تعرض الإبراهيمي لليهود مميّطا اللثام عن لؤمهم ومخازيهم في سخرية مريرة، وتهكم لاذع فيقول: "كان حظ فلسطين في أدوار الزمن وأطوار التاريخ وعصور الفتوحات حظ العقلية الكريمة، تؤخذ في ميدان البطولة ممهورة لا مقهورة، أخذها البابليون غالبا، وأخذها الفرس اغتصابا، وأخذها الرومان اقتسارا، وأخذها العرب اقتدارا، ولا يعد أخذ اليهود لها من كنعان واحدة من هذه"²⁵. يسخر من اليهود في هذه الفقرة فيجردهم من كل معاني القوة والعزة، فكل الأمم المتعاقبة على فلسطين لها هذه الصفة، عدا اليهود فإنهم جبناء. ويواصل سخريته فاضحا خوفهم وجبنهم التاريخي قائلا: "فات اليهود أن يأخذوها (فلسطين) بالسيف من العرب، فيكفروا بعد عشرات القرون عن سيئة اجترحها أسلافهم يوم قالوا: [يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ] (المائدة: 22). فاتهم ذلك وأعوزتهم الخصائص الدموية التي يكونون بها كذلك، فلجأوا إلى ما هو أشبه بهم، وهو الشراء؛ شراء القوي ليكون لهم معيناً، ولحمايتهم رهيباً، وشراء المعلنات اللافتة، والأصوات ولو كانت خافتة"²⁶. إنها حقا لسخرية تتقاطر قداحة وشتما لليهود ودناءتهم وضعفهم، لدرجة أنهم اشتروا غيرهم من الأقوياء لحمايتهم فهم جبناء لا يقدرّون حتى على الدفاع عن أنفسهم.

المبحث الثاني: البعد السياسي

أسهم الإبراهيمي من خلال مقالاته الساخرة إسهاما عظيما في توعية الشعب الجزائري، وتوضيح رؤاه، وتصحيح مفاهيمه سياسيا، لاسيما فيما يخص كشف حقيقة الاستعمار ونواياه، وفضح أساليبه الهادفة لمحق هذا الشعب وإزالته من التاريخ تماما، وهي قضايا تدرج ضمن البعد السياسي، وقد جاءت سخريته مفعمة بها، وسنحاول الوقوف عليها من خلال بعض النماذج.

1- فضح السياسة الاستعمارية:

تناول الإبراهيمي كلمة الاستعمار محاولا إنصافها دلاليا، كونها تدل على العمارة والتعمير، ولكن الاستعمار استعارها ليوهم الشعوب أنه جاء للبناء والتعمير ونشر الخير. يقول: "عجيب، وهل الاستعمار أن تحشر كلمة (مظلوم) في هذه الكلمات أصيلا، أما أنت (كولون الشمال) فتوبتك أن تحشر كلمة (مظلوم) في هذه الكلمات المظلومة، هون عليك، فإن المظلوم -هنا- هو هذه الكلمة العربية الجليلة ترجموا بها لمعنى خسيس"²⁷. فحقيقة الاستعمار هي النهب والتقتيل والتخريب، ومن خلال هذه السخرية اللاذعة يوجه للشعب الجزائري دعوة للاستفاقة وعدم الانخداع بالأعيب الاستعمار ومراوغاته الدنيئة، فيكشف عن نواياه بأسلوب تهكمي لاذع "أما والله لو أن هذا الهيكل المسمى بالاستعمار كان حيوانا، لكان من حيوانات الأساطير بألف فم للالتهام، وألف معدة للهضم، وألف يد للخنق، وألف ظلف للدوس، وألف مخلب للفرس، وألف ناب للتمزيق، وألف لسان للكذب وتزيين هذه الأعمال، ولكان مع ذلك مغتلمًا هائجا، بادئ السوءات والمقابح، على أسوأ ما نعرفه في الغرائز الحيوانية"²⁸. يشتد غيظ الإبراهيمي ومقته لهذا الكيان المتوحش الذي انتقى لنفسه أحسن الأسماء وأشرفها، فيرسل هذه السخرية القاتلة ممزوجة بغضبه العارم، فيصور هذا الكيان حيوانا أسطوريا ذا قوة غريزية خارقة، لكنها لا وجود لها إلا في أذهان السذج من الناس الذين يصدقون بالأساطير.

ويواصل كلامه فاضحا هذا الكيان فيقول: "سموا الاستعمار تخريبا، إذ لا تصح كلمة الاستخراب في الاستعمال، لأنه يخرب الأوطان والعقول، والأديان والأفكار، ويهدم القيم والمقامات والمقومات، وخذوا العهد على المجامع العربية أن تمنع استعمال هذه الكلمة في هذا المعنى الذي تقوم بحمله عربة المزابل"²⁹.

فمدلول هذا الكيان لا تقوى على حمله حتى عربة المزابل، فكيف هو الحال بالنسبة لهذه الكلمة العربية ذات المعاني الجميلة، حقا إنها سخرية نتلمس من خلالها

غيرة جامعة على اللغة العربية الشريفة، وقد استطاع أن يجسد هذه الصورة الساخرة بالاستعانة بجناس الاشتقاق.

2- أذئاب الاستعمار:

المقصود بهم هم أولئك الذين سخرهم الاستعمار لقضاء مآربه، وعلى رأسهم رجال الدين الرسميين الذين يقومون بوظائف دينية تتماشى وسياسة العدو ومصالحته، فقد استطاعت الحكومة الفرنسية أن توجد "هذا الجند العاطل من الأئمة والمفتين والخطباء والمؤذنين والقومة والحزابيين... وكورتهم وصورتهم ونقحتهم وهورتهم على المنوال الحكومي، دورتهم حتى أصبحوا جزءاً أصيلاً من الأدوات الحكومية، لا يفرق بينهم وبين سائر الموظفين الحكوميين فارق، حتى في التبديل والنقل من بلدة إلى بلدة، فإن حكمة النقل إنما تظهر في الموظف العسكري أو الإداري، أما رجل الدين فأى حكمة في نقله؟ لو لا اعتباره موظفاً حكومياً، ينقل لمعان إدارية وحكم حكومية، أما إن كان نقله لنقص أو تقصير في الواجب الديني، فإن الدين يعزله ولا ينقله، هذا أكبر دليل وأنهض حجة على أن هذه الوظائف فارقت الدين والتحقّت بالحكومة"³⁰.

فأولئك الرجال يعملون على تحقيق أهداف فرنسا، وتحطيم مبادئ الإسلام، وما هم إلا جنود عاطلون وقعوا في فخ المستعمر بسبب جشعهم، فيزدري بهم وينتقص من شأنهم فيبين أنهم لعبة في يد المستعمر يوظفهم حسب مشيئته ووفقاً لأهوائه، فكورهم وصورهم وجردهم من الروح الوطنية ومبادئ الإسلام، فهم موظفون حكوميون ينفذون أجندات سياسية للاستعمار لا رجالاً يمثلون الدين.

ويقدم لنا الإبراهيمي نموذجاً من هؤلاء الأذئاب المتخرجين من المدرسة الاستعمارية عن طريق انتزاع اعترافات، فيقول: "أنا روح الاستعمار وسره وحقيقته المشخصة، وأنه لو لم يكن في الدنيا استعمار لكنت وحدي استعماراً قائماً بذاته، ولو انقطع الاستعمار - لا قدر الله - فسأكون أنا وحدي حافظ أنسابه، ووارث أصلابه، والمتعبد بتلاوة كتابه، وأنا وحدي المثال المحقق لقاعدته، وأنا وحدي الدليل على خروج الاستعمار من صورته الذهنية إلى حقيقته الخارجية"³¹. فمن خلال هذه اللوحة الفنية الساخرة يستوقفنا الإبراهيمي على نتائج التكوين التي يتحصل عليها المرتمون بين فكي الاستعمار، فقد فاقوه حتى في ضرب وطنهم ودينهم، فقدم لنا هذا النموذج بطريقة انتزاع الاعترافات أي جعله يكشف عن نفسه بنفسه، فهو الابن البار

للاستعمار بل روحه الخالصة، وهي سخرية تحمل تحذيرا صريحا من خطر هؤلاء الأذئاب على الأمة الإسلامية لتستفيق من غيوبتها وتنقطن لما يقومون به. وهكذا يبدو الإبراهيمي من خلال هذه النماذج الساخرة سياسيا محنكا دربته الأيام وصقلته المحن، يوظف قلمه لإيقاظ الشعب الجزائري من غفلته، وتنبئيه إلى مساوئ المحتل الفرنسي الغاشم.

المبحث الثالث: البعد الاجتماعي

سبق وأن بينت في مدخل هذه الدراسة أن السخرية أسلوب نقدي له مميزاته الفنية، ويعتبر في الواقع بناء للحياة، وحارسا للمثل العليا³². وكان لشيخنا الإبراهيمي في أدبه الساخر إسهام قيم في النهوض بالمجتمع الجزائري من خلال معالجة الأوضاع الاجتماعية التي شهدت تدهورا مريعا، بسبب ما تعرض له من تجهيل وتزييف للحقائق وتخدير، فقد جاءت نصوصه الساخرة مفعمة بهذه القضايا وعلى رأسها الطرق الصوفية الموالية للاستعمار، وقضية المرأة.

1- الطرق الصوفية الموالية للاستعمار:

وقد أدرجتها ضمن البعد الاجتماعي على الرغم من صلتها المباشرة بالبعد الديني، بالنظر إلى الانعكاسات الاجتماعية الخطيرة الناجمة عن سيطرتها على عقول الناس، مما أدى إلى تفاقم الوضع الاجتماعي كانتشار الجهل والضلال، وقد بين الإبراهيمي حقيقة هؤلاء في قوله: "فما بال أصحابنا (علماء السنة) يتسمون باسم لا يلتقون مع معناه في طريق، لا يقوم عليه شاهد من أقوالهم، ولا ينتزع عليه دليل من أفعالهم، لولا أن الشعوذة لبستهم فأنكرناهم فيها، فلبسوها فأنكرناها عليهم، فخرجوا من باب اللباس إلى باب التلبيس، وقالوا نحن قوم أصحاب أسماء، قد أسقطنا الواقع من اعتبارنا، وأسقطنا الأعمال من حسابنا، فلا نرفع بها رأسا ولا رجلا، وما دمنا بهذه الصفة، ومادامت في الأمة بقايا من البله والغفلة "والنية" فلندعو أنفسنا بالعلماء، وإن لبسنا من الجهل سراويل، ولنسم "علماء السنة" وإن كنا نخوض في البدعة خوضا، فجاء هذا الاسم كما ترى، وليس في الأسماء أكذب منه، ولا أشد منافرة لمسماه"³³.

فهذا النص يتضمن سخرية لاذعة من أصحاب الطرق الصوفية الموالية للاستعمار، حيث عرض بهم مبينا أن اسم "علماء السنة" الذي اصطاحوه على أنفسهم بعيد عنهم كل البعد، وراح يبين بدعهم وخرافاتهم وجهلهم وتسترهم وراء الأسماء، منتزعا منهم اعترافات عن حقيقتهم، فقد استغلوا غفلة الشعب وسماوا أنفسهم علماء

رغم جهلهم، ونسبوا لأنفسهم السنة رغم بدعهم، محملاً إياهم المسؤولية في كل ما يعانيه المجتمع الجزائري من أمراض وأفات.

هذا ويبين بأسلوبه التهكمي مدى نجاح الشيطان في إغراء الناس وحملهم على إقامة أعراس على طريقتهم، وبالكيفية التي يريدونها، فيقول: "ودعا داعي الشيطان إليها (الزردة) فأسمع، وكأنه أذن في القانتين بصلاة، أو تُؤب في المستطيعين بحج، فإذا هم في اليوم الموعود مهطعين إلى الداعي رجالاً ونساء وأطفالاً، يزجون الرواحل ويسوقون القرابين، ويحملون الأدوات، تراهم فتقول إن القوم صُبحوا بغارة، تسيل بهم الطرق، وتغص بهم الفجاج، حتى إذا وصلوا إلى الوثن، نصبت الخيام، وسالت الأباطح بالمنكرات والآثام"³⁴.

فالأستجابة الواسعة من هؤلاء الناس دليل على مدى السيطرة على قلوبهم وعقولهم من قبل رجال الدين المزيفين وانقيادهم التام لخرافاتهم وترهاتهم، التي تتماشى وفتنة الشيطان ووسوسته، لدرجة أنهم هرعوا مهطعين إلى الداعي الذي دعاهم إلى هذه الزردات، وهرولوا دون وعي، فهي استجابة سريعة وحماسة غير واعية، فقد فعلت هذه الزردة بالناس ما فعله الغارة المفاجئة في القوم، وهي سخرية تنضح مرارة وأسى على الوضع الذي آل إليه المجتمع الجزائري، وهي سخرية "أقرب إلى الاستهزاء والتحقير منها إلى التهكم والتعريض، إنها مهاجمات عنيفة موجّهة لهم مليئة بالتحقير والسخرية اللاذعة... وقد يكون هجومه عليهم مزيجاً من التحقير والتحدي، فضلاً عن تصويره لهم في صورة سانحة بلهاء"³⁵.

وتحدث الإبراهيمي عن المدى الذي بلغه القوم في التفاهة والظلال عندما يصدقون ما يتفوه به أسيادهم فيقول: "وكان هؤلاء يعتقدون أن أرواح الأولياء كالثعابين والحيات، تتخذ من الحجارة المجموعة مقراً وملجأ، فكلموا وجدوا حجارة اعتقدوا أنها مباءة لولي، واتخذوها مزاراً، ولقد مررت في إحدى جولاتي في تلك المقاطعة الوهرانية بقطعة أرض موات كأنها مقبرة أموات مرصعة بالحجارة، مغطاة بالسدر والدوم، تحفها قطع متجاورات، غرست زيتونا وكروما وفواكه شتى، فكأن تلك القطعة من بينها جنة الرجاز التي تخيلها أبو العلاء في رسالة الغفران"³⁶. فالسخرية -هنا- تبدو واضحة جلية في وصف ما آلت إليه عقول الناس من السذاجة والسفاهة، لدرجة عدهم أرواح الأولياء كالثعابين والحيات، هذا الاعتقاد الذي جعلهم يتخذون كل أحجار مجموعة مقراً لولي، فيعمدون إلى تزيينها وزيارتها، وهو من

جهة أخرى يحاول كشف خطورة أولئك الطريقين على عقول الناس، ومدى استحواذهم عليها استحوذاً يستمر حتى بعد موتهم بسنين طويلة.

2- قضية المرأة:

استغل الاستعمار الفرنسي ضعف المرأة العلمي، وحاول استغلالها في قضاء مصالحه، حيث أقر لها حق الانتخاب، لكن شيخنا الإبراهيمي تظن لهذه الخدعة فراح يتساءل ساخرًا عن الداعي لهذا الحق، وكأن كل الحقوق قد استوفيت، يقول: "... وبقيت المرأة المسلمة محرومة من ذلك كله، فوجب على الحكومة العادلة، وعلى المجلس الرحيم، أن ينصفاها وأن يرفعا عنها هذا الإجحاف، وأن يعجلا لها بالحق الضائع، والثمرة المغصوبة، والحرية المسلوقة، إذن لتحيى العدالة، ولتحيى المساواة"³⁷.

فالقارئ لهذه الفقرة يتبين له للوهلة الأولى أن الإبراهيمي يمدح الحكومة الفرنسية ويثني عليها فعلتها، ولكن المتمعن فيها يجدها تنضح تهكما وسخرية من هذا التصرف الغريب، ففي الوقت الذي جرد فيه الرجل من كل حقوقه، وأهملت مشاكله الاقتصادية والاجتماعية، أوجبت هذه الحكومة على نفسها إنصاف المرأة، فالإبراهيمي يكشف من خلال هذه السخرية النوايا الخفية للاستعمار بإحقاق هذا الحق، وما هو إلا استغلال للمرأة المسلمة، حيث يقول: "أفيريديون بإعطاء المرأة المسلمة ورقة الانتخاب أن يشركوها مع الرجل في هذه النعمة؟"³⁸. وكأن الرجل قد تنعم بحق الانتخاب فأرادوا للمرأة المسلمة أن تشاركه هذه النعمة، ويستمر متهمًا من الاستعمار في هذا السياق قائلاً: "المرأة الجزائرية تنتخب، والحكومة تريد لها أن تنتخب، والفرق بسيط مادام الفارق نقطة... وقاتل الله هذه الخاء، فما أسعراها في المخرج! وما أسعد من لا ينطق بالحاء!"³⁹.

يوظف الإبراهيمي معرفته اللغوية الواسعة ويتلاعب بالألفاظ دون إخلال بالمعنى ببراعة فائقة ومقدرة عجيبة، فبينما المرأة الجزائرية تنتخب، يريد لها الاستعمار أن تنتخب، وقد استخدم في هذا النص حرف الخاء كرمز للاستعمار الفرنسي لأنه يميز لغته الفرنسية، وكنى به عن التابعين للفكر الفرنسي، وأفصح عن مشاعره تجاه هذا الكيان الذي أتعس الناس، وحول يسرهم إلى عسر.

خاتمة:

بعد هذه الجولة القصيرة في مقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الساخرة، أحاول حوصلة أهم النتائج المتحصل عليها في النقاط التالية:

الكتابة الفنية الساخرة وأبعادها في نثر البشير الإبراهيمي

- امتزجت السخرية عند الإبراهيمي بثتى مجالات الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية، الأمر الذي جعلها سخرية جادة في معظمها اكتست طابع المرارة والأسى كونها نابعة من نفس مفعمة بالغيرة على العروبة والإسلام.

- هي سخرية هادفة في كل صورها، فلم تكن لغرض التفكه والإمتاع، بل كانت وسيلة للإصلاح والتقويم والتهديب.

- تميزت بالجرأة والصراحة والمباشرة، فلا لف فيها ولا دوران، وبخاصة إذا تعلق الأمر بقضية حساسة يعيشها المجتمع الجزائري أو العربي الإسلامي.

- إنها سخرية تتنفس في أجواء التراث العربي الإسلامي، وبخاصة القرآن الكريم، حيث غلبت عليها النزعة الدينية الأمر الذي انعكس على لغتها التي جاءت متحلية بالهدوء والوقار.

- هي سخرية ترقى إلى عالم الفن والإبداع بعيدة عن التصنع والتكلف والمجون، فهي سخرية مهذبة وبلغية وجد راقية، تتم عن تمكّن عجيب من أساليب العربية، وإطلاع واسع على قواعدها وقوانينها.

- استمدت مادتها من الواقع المعيش، وتميزت بالتنوع والتفنن في الأسلوب وطريقة الكتابة، تراوحت لغتها بين البساطة والوضوح، ودقة التصوير وعمقه.

وخلاصة القول؛ فإن الشيخ البشير الإبراهيمي من أبرز أعلام أدب السخرية والتهكم في العصر الحديث، حيث يبدو من خلاله مصلحا اجتماعيا ملما بواقع الأمة العربية والإسلامية، ومفكرا سياسيا محنكا، فهو حقا - كما قيل- دائرة معارف إسلامية.

الهوامش:

- ¹ - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، القاهرة، ج 2، مادة (سخر)، ص 46.
- ² - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 4، ص 352-353.
- ³ - راجع العوي، فن السخرية في أدب الجاحظ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 5.
- ⁴ - مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وأدابها، جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص 20.
- ⁵ - عباس محمود العقاد، ساعات بين الكتب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1984، ص 252.
- ⁶ - د. خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية الميسرة، ج 1، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، 1405هـ، ص 116.
- ⁷ - أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط. 2001، ص 20.
- ⁸ - محمد منصوري، شعر السخرية والتهكم عند حافظ طوقان، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة قسنطينة، معهد الآداب واللغة العربية، 1405هـ - 1989، ص 11.
- ⁹ - محمد العيد تاورتن، نثر الشيخ البشير الإبراهيمي (1929-1939)، جمع وتوثيق ودراسة. رسالة ماجستير مخطوطة، معهد الآداب والثقافة العربية، جامعة قسنطينة، 1979-1980، ص 416.

- 10- د. محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها، (1903-1931)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971، ج1، ص71.
- 11 - الإبراهيمي، عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص460، عنوان المقال: إبليس يأمر بالمعروف.
- 12- أبو الإسعاد عبد الحي الكتاني من أسرة شريفة في المغرب الأقصى، متخصص في علم الأنساب وعلم الحديث كما ألف في التاريخ.
- 13- الإبراهيمي، عيون البصائر، ص607-608، عنوان المقال: عبد الحي الكتاني ما هو؟ وما شأنه؟
- 14- حامد عبده الهوارى، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص69-70.
- 15- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص376.
- 16 الإبراهيمي، عيون البصائر، ص609-610.
- 17- م. س. ص. 639. عنوان المقال: من نفحات الشرق الأستاذ بهجة البيطار.
- 18- م. س. ص. 639.
- 19- م. س. ص. 639.
- 20- م. س. ص. 488. عنوان المقال: وصف قرار التقسيم.
- 21- م. س. ص. 488.
- 22- م. س. ص. 489.
- 23- م. س. ص. 490.
- 24- م. س. ص. 490.
- 25- م. س. ص. 495.
- 26- عيون البصائر، ص495.
- 27- عيون البصائر، ص475.
- 28- م. س. ص. 575.
- 29- م. س. ص. 575.
- 30- م. س. ص. 109. عنوان المقال: ونعود إلى فصل الحكومة عن الدين.
- 31- م. س. ص. 456. عنوان المقال: إبليس ينهي عن المنكر.
- 32- حامد عبده الهوارين، السخرية في أدب المازني، ص08.
- 33- آثار الإبراهيمي، ج1، جمع وتقديم د.أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، (1929-1940)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص114، عنوان المقال: تتعالوا نسانلكم.
- 34- عيون البصائر، ص348، عنوان المقال: أعراس الشيطان.
- 35- حمد العيد تاورتة، نثر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ص72.
- 36- عيون البصائر، ص349.
- 37- م. س. ص. 117، عنوان المقال: فصل الحكومة عن الدين.
- 38- م. س. ص. 118.
- 39- م. س. ص. 119.